الأصول الثلاثة

للإمام المحدث

محمد بن عبد الوهاب

- رحمه الله تعالى -

شرح شيخنا الفاضل العلامة

أحمد بن عمر بازمول

- حفظه الله -

معهد الميراث النبوي

الدرس الخامس عشر

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اِللهِ اِلرَّحْمَنِ اِلرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوْذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّار .

أما بعد :

فقد توقّفنا عند قول المصنّف - رحمه الله تعالى - شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب في " الأصول الثّلاثة " لمّا ذكر أنّ النّبيّ ﷺ مكث في مكّة يدعو إلى التّوحيد ثلاثة عشر سنة ثمّ هاجر إلى المدينة فقال الشّيخ - رحمه الله تعالى - : " والهجرةُ الانتِقالُ من بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإِسْلامِ .

والهِجْرَةُ فَريضَةٌ على هَذِهِ الأُمَّةِ من بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإسلامِ وهيَ باقِيَةٌ إلى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةَ والدَّليلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ ، قال البغوي -رحمه الله تعالى - : " سببُ نزولِ هذهِ الآيةِ في المُسْلمينَ الذّينَ في مكَّة لمْ يُهَاجِروا ، ناداهُمُ اللهُ باسمِ الإيمانِ " .

والدّليلُ على الهِجْرَةِ منَ السُّنَّةِ قولهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم (لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ ، ولا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) .

في هذه الجمل من شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - تنبيهٌ على مسألةٍ مهّمة وهي :

أنّ المسلم لا ينوي الإقامة الأبديّة بين ظهرانِي الكفّار أو المشركين ، وإنمّا ينوي قضاء حاجتهِ من تجارةٍ أو تعليمٍ أو سفرٍ أو نحو ذلك ثم يعود إلى بلده .

والمدّة التّي يمكثها في بلاد الكفر ولو طالت إذا لم ينو الإقامة الأبديّة فلا يدخل في التّحريم وفي الذّم المذكور في هذه الأدلّة .

وعلى المسلم أن يسعى إلى الانتقال إلى بلاد الإسلام وإذا أقام في بلاد الكفر لمدّة معينة عليه أن يحافظ على شعائر دينهِ وعلى تعليم أولادهِ وعلى أن يبثَّ الرّوح الإسلاميّة وشعائر هذا الدّين بين أهله وأولاده ، فلو أقام في بلاد الكفر مدّةً طويلة لتجارةٍ أو تعليمٍ أو

لأمر آخر فإنّه لا يدخل في هذا الذّمّ .
والمسلم بعد أن يعلم حكم تحريم الإقامة في بلاد الكفر فلو استطاع أن ينتقل إلى بلده بلا ضرر وبلا - يعني - أذًى فليفعل ذلك ، وإن كان الانتقال إلى بلاده يكون فيه عليه ضرر أو خسارة أو لا يستطيع أن ينتقل إلى بلده بسبب عدم توفر الأوراق الرّسمية أو عدم توفّر الأمور فحينها يُقال له ابذل جهدك واسعى في تيسير أمورك للانتقال إلى بلاد الإسلام .

فإذا يجب أن نتنبّه لهذا الأمر :

أوّلا : الذّي يحرم هو الإقامة الأبديّة ؛ أن تنوي الإقامة في بلد الكفر ولا تنوي الرّجوع إلى بلدك .

ثانيًا : أنّ الجلوس في بلاد الكفر لقضاء غرض من تعليمٍ أو تجارةٍ أو نحو ذلك مع توفّر الشّروط الشّرعيّة من إقامة الدّين وعدم الفتنة وعدم هذه الأمور كلّها ، أنّه لا يدخل - إن شاء الله - في الإثم بإذن الله .

ثالثًا : أنّه لا يُقال للمسلم بعد علمه بهذا الحكم وقد يكون سابقًا قد نوى الإقامة ، لا يُقال له انتقل الآن في غمضة عين أو بين يوم وليلة ، بل يُقال انظر إلى أمورك وانظر إلى شأنك واستعد للانتقال إلى بلاد الإسلام فإن تيسّر لك هذا في عجل وفي سرعةٍ فالحمد لله وإن لم يتيسّر لك هذا وتحتاج إلى وقت للاستعداد ماديًّا ولإعداد الأوراق ونحو ذلك فحينها انتقل عندما تتيسّر لك الأمور .

وإنّ من الأمور الغريبة التّي قد انتشرت بين المسلمين في بلاد الغرب هناك - يعني - فتاوى تدعوا إلى أنّه لابدّ أن تُهاجر الآن الآن

، وهذا خطأ ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(1) فمَن تيسّر له الانتقال نقول له انتقل الآن ومن كان الانتقال بالنّسبة له يضرّ الآن ويحتاج إلى وقت جمع مال وتخلّص من أوراق وإعداد أوراق رسميّة ونحو ذلك فحينها نقول له مادمت لا تنوي الإقامة الأبديّة ومادمت تنوي الرّجوع إلى بلاد الإسلام فلك من الوقت ما تحتاجه - بإذن الله تعالى - للانتقال إلى بلدك سواء كان شهر أسبوع سنة أو أكثر ، أهمّ شيء أن لا تنوي الإقامة ، وأهمّ شيء أن تسعى للانتقال إلى بلاد الإسلام ، وأهمّ شيء أن تمارس شعائر دينك وأن تجتنب الفتن .

فإذا قول المصنّف - رحمه الله تعالى - : " والهجرةُ : الانتِقالُ من بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإسْلامِ " هذا الانتقال سيأتي إن شاء الله أنّه فريضة .

- لمـــاذا ؟

- **لأنّ** المسلم لا يجوز له أن ينوي الإقامة الأبديّة في بلاد الكفر أو الشّرك لقوله ﷺ (لا تتراءى نار مسلم ونار مشرك)(2) أو كما قال عليه الصّلاة والسّلام .

قال الشّيخ - رحمه الله تعالى - : " الانتِقالُ من بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإسْلامِ والهِجْرَةُ فَريضَةٌ " أي : واجبة على هذه الأمّة من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام فلا ينوي المسلم الإقامة في بلاد الكفر، فلا ينوي المسلم الإقامة الأبديّة ، أمّا أن ينوي الإقامة لوقتٍ تتيسّر فيه أموره أو لتجارةٍ أو نحو ذلك كدعوةٍ إلى الإسلام وإلى السّنّةِ النّبويّة فلا مانع من ذلك ولو طالت المدّة مادام أنّ النّيّة في ذلك عدم الإقامة الأبديّة ؛ ونعني بالإقامة الأبديّة أن ينوي الإقامة في

---

(1) سورة البقرة (286) .

(2) بعث رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سَريَّةً إلى خثعم ، فاعتصم ناس منها بالسجودِ ، فأسرع فيهم القتل ، فبلغ ذلك النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، فأمر بهم بنِصفِ العَقلِ ، وقال : أنا بريءٌ بكلِّ مُسلمٍ مقيم بين أظهُرِ المُشرِكينَ ، قالوا : يا رسول الله ، لم ؟ قال : لا تتراءى ناراهما) ابن حجر العسقلاني ، تخريج مشكاة المصابيح (408/3) .

بلاد الكفر إلى أن يموت ولا يُفكّر أن يرجع إلى بلاد الإسلام إلّا من باب الزيارة للأهل والأقارب فلا شكّ أنّ هذا محرّم للأدلّة ، ولكن الإقامة لتجارة أو تعليم أو دعوة أو نحو ذلك فلا مانع منها .
وكذا من كان ناويًا للإقامة الأبديّة ثمّ علم الحكم لا نقول له انتقل بين يوم وليلة ولكن انظر إلى ما يتيسّر معك وما يكون لك فيه سعة في أمرك ثمّ انتقل بعد ذلك ولا تنوي الإقامة الأبديّة .
إذًا قال الشّيخ - رحمه الله تعالى " وهي باقيةٌ " - أي الهجرة - " إلى أن تقوم السّاعة " يعني لا تسقط لا يجوز لمسلم أن يسكن في بلاد الكفر بنيّة الإقامة الأبديّة.
قال : والدّليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ؛
يعني هؤلاء الذّين ظلموا أنفسهم ؛ وهم أناسٌ من أهل مكّة أسلموا أو تكلّموا بالإسلام ولم يهاجروا فتوفّتهم الملائكة حال كونهم ظالمي أنفسهم .
كيف ظلموا أنفسهم ؟

لم يهاجروا ولم ينووا الهجرة من بلاد الشّرك بل ظلّوا في ديار الكفر فتقول لهم الملائكة موبّخةً لحالهم ﴿ فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ يعني
لماذا فعلتهم هذا الأمر ؟ لماذا لم تهاجروا ؟
- فيكون جوابهم : بأنّنا كنّا مستضعفين في الأرض ؛ يعني ما عندنا قدرة ، نعجز عن الهجرة ولا تتوفّر لنا الأمور .
لكن هل هذه الأسباب حين ذكروها كانوا صادقين فيها ؟
قال أهل التّفسير : لم يكونوا صادقين فيها بل هي مجرّد أعذار واهية لا حقيقة لها فلم يكونوا مستضعفين وكانت عندهم القدرة على الهجرة فلم يهاجروا .
لذلك مرّ معنا في التّنبيه السّابق أنّ هذه الهجرة إنّما تكون بلا ضرر وهذه الهجرة لمن نوى الإقامة الأبديّة ، أمّا من نوى الإقامة لمدّةٍ ثمّ يرجع فلا يدخل في هذه الأدلّة لذلك تقول الملائكة لهم : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ فهذا عتابٌ لهم

وهذا استفهام المراد به أن يعترفوا أنّ أرض الله واسعة ولم يهاجروا لذلك تُوعِّدوا بالعقاب ﴿ فَأُولَـٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ؛ أي أنّ هؤلاء الذّين لم يهاجروا لا عذر لهم فأخبر الله ﷻ بأنّ مأواهم جهنّم وساءت مصيرا ؛ أي أنّ جهنّم هي بئس المصير وتُوعّد مَن ترك الهجرة مع قدرته توعّد بهذا العقاب فترك الهجرة لمَن كان قادرًا عليها كبيرة من كبائر الذّنوب ، ولكن كما سبق تركُ الهجرة لمن كان ناويًا الإقامة الأبدية ؛ أما من كان مقيمًا لقضاء حاجةٍ ولإتمام أمرٍ ؛ كالتعليمِ ، أو تجارةٍ ، أو دعوةٍ ، أو نحو ذلك ؛ فإنه لا يدخل في هذه النصوص ؛ لأن هذه النصوص في ذمِّ من أقام إقامةً أبدية ؛ لا ينوي الرجوع إلى بلاد الإسلام أو لا ينوي الانتقال إلى بلاد الإسلام .

لذلك ذكر الله ﷻ من يُعذرون فقال : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ يعني ؛ الذين هم فيهم عجزٌ عن الانتقال سواءٌ كانوا رجالًا أو نساءً أو ولدان ؛ يعني صغارًا من الأبناء والبنات يعني لا يستطيعون حيلة ؛ يعني لا يستطيعون الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام ؛ لعدمِ النفقة أو لعدم القدرة والقوة أو نحو ذلك ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ يعني ؛ لا يعرفون كيف يخرجون من بلاد الكفر ويصلون إلى بلاد الإسلام ﴿ فَأُولَـٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ يعني ؛ من كان مستضعفًا حقًا ولا يستطيع الانتقال حقًا ؛ فإن الله ﷻ وعده بالعفو عنه ؛ عن هذا الأمر ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ ؛ أي أن الله ﷻ متصف ﷻ بالعفو والتجاوز عن السيئات وأنه ﷻ غفورًا أي : كثير المغفرة للذنوب والزلات .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : (نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةً فِي كلِّ مَنْ أَقَامَ بينَ ظَهْرانِيْ المُشْرِكِينَ) وقوله في كل من أقام أي : أقام إقامةً أبدية ، لأن بعض الناس يفهمون خطأً أن كل من سكن في بلاد الكفر متوعد بهذا العذاب وأنهُ يجب أن يهاجر حالًا حالًا ، وهذا خطأ ؛ وإنما الأدلة أتت في من نوى الإقامة الأبدية ، قال :

وهو قادرٌ على الهجرة ، وليس متمكنًا من إقامة الدين فهو ظالمٌ لنفسه مرتكبٌ حرامًا بالإجماع وبنص هذه الآية انتهى .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - وقوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾

هذا نداءٌ من الله ﷻ للمؤمنين الموحدين لله ﷻ ؛ الذين ءامنوا بالله ربًا ، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيًّا ، وبهذا الإسلام دينًا ؛ ولكنهم مقيمون في ديار الكفر لم يهاجروا ؛ فالله ﷻ خاطبهم بهذا الخطاب ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فليست الإقامة في ديار الكفر كفرًا ؛ إنما هي كبيرة من كبائر الذنوب ﴿ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾ ؛ يعني أنا خلقتكم وأوجدتكم في هذه الأرض فأنتم في بلاد الكفر فأرضي واسعة ، في أي مكانٍ انتقلوا إن تيسر لكم ولا تقيموا في بلاد الكفر إقامةً أبدية لما في ذلك من ضررٍ عليكم في دينكم ودنياكم ﴿ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ أي : أظهروا لي العبادة في أرضي الواسعة .

قال البغوي -رحمه الله تعالى - : " سَبَبُ نزولِ هذهِ الآيةِ في المسلمينَ الذينَ كانوا بِمَكَّةَ لمْ يُهاجرُوا ، ناداهمُ اللهُ باسمِ الإيمانِ " يعني : أنهم مؤمنون فناداهم باسم الإيمان ؛ فأفاد أن تارك الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر ولكنه عاصٍ ، مؤمن ناقص الإيمان .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : والدّليلُ على الهِجْرَةِ منَ السُّنَّةِ قولهُ ﷺ (لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ) ؛ فهذا دليلٌ من السنة على استمرار الهجرة ، وأما قوله ﷺ : (لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ) أي : لا هجرة من مكة ومن دار الإسلام بعد فتح مكة ، وأما الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فهي مستمرة .

ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام - : (لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ) ؛ وهذا دليلٌ على أن الهجرة مفروضةٌ وواجبة ؛ فوجوب الهجرة لا يسقط لمن كان مستطيعًا ، فلا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ؛ يعني : حتى يأتي وقتٌ لا تقبل فيه توبة التائب ؛ فإذا جاء ذلك الوقت وهو : إذا طلعت الشمس من مغربها ؛ فحينها لا ينفع انتقال

المسلم الذي أقام في بلاد الكفر إقامةً أبدية بعد طلوع الشمس من مغربها لا تنفعه هجرته .

لمـــاذا ؟

لأن التوبة حينها قد انقطعت ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : (ولا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) ؛ فالتوبة مقبولةٌ من العبد إذا انتقل من بلاد الكفر قبل طلوع الشمس من مغربها ، وهذه الهجرة واجبة كما بين ذلك العلماء .

فالمسلم يسعى بكل جهده واستطاعته الانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ولا ينوي الإقامة هناك ، والانتقال إلى بلاد الإسلام .

هنا أيضًا ننبه على قضية وهي أن بعض المسلمين - هدانا الله وإياهم للصواب - قد يقولوا إني في بلاد الكفر مرتاح ولا يُضيق علي وأما في بلاد المسلمين فهناك بعض الأمور التي تضايقني فلذلك أنا لا أنوي الرجوع إلى بلاد المسلمين .

فنقول لهـــــــؤلاء :

أولًا : اعلموا أن الهجرة واجبة ، لا يجوز لك أن تنوي الإقامة الأبدية في بلاد الكفر .

ثانيًا : أن نقول لك يا أخي إن بلاد المسلمين على كل ما فيها من تضييقٍ في نظرك أو سوء معاملة في نظرك ، فإن هذه أمور أهون من الشرك والكفر الذي في بلاد الكفر .

ثالثًا : أنت تعلم الإسلام وتعلم شيئًا منه ولكن أبنائك ومن بعدهم قد يتطبعون بطباع أهل الكفر ، بل وقد يتدينون بدينهم فينتقلون من الإسلام إلى الكفر و أنت لا تدري فلا شك أن هذه شبهة شيطانية .

عليك أن تنوي الرجوع إلى بلاد المسلمين وأن تربي أبنائك وأجيالك على الإسلام في بلاد المسلمين ، فإن الدنيا زائلة وفانية

والعبد يعلق قلبه بالله ﷻ ويعلق نفسه بالآخرة فإن الحياة الآخرة لهي الحيوان ؛ أي لهي دار الحياة الحقيقية هذا معنى الحيوان ؛ أي دار الحياة الحقيقة ، أما الدنيا فيها المنغصات لا النعم لا تدوم فيها المرض فيها الحوادث والمصائب ، الإنسان ما يأمن الدنيا زائلة ، فلا تتعلق بها ولا تظن أن أهل الكفر وأهل الشرك هم خيرٌ لك من المسلمين ، فإنهم يخدعوك وهم على فتنتك وتغيير دينك هم حريصون بلا شك .

فاحذر يا عبد الله من هذه الشبهة ، فلا تنوي الإقامة في بلاد الكفر وانوِ الرجوع إلى بلاد المسلمين على قدر استطاعتك لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ، وإن شاء الله ما دمت ناويًا للخير وما دمت ناويًا لطاعة الله ورسوله ﷺ في هذا الأمر ، فأبشر بالخير والتوفيق من الله ، فإنّ الله ﷻ كما دلت النصوص الشرعية يُعين العبد على مراده في فعل الطاعة بإذن الله تعالى .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - " فلمّا استقرّ في المدينةِ أُمِرَ ببقيةِ شرائعِ الإسلامِ ، مثلَ : الزكاة ، والصَّوْمِ ، والحجِّ ، والآذانِ ، والجهادِ ، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عنِ المُنْكرِ ، وغيرِ ذلكَ من شرائعِ الإسلامِ " ؛ يعني أن النبي ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة وانتشر التوحيد ودخل الناس في هذا الدين أفواجًا فعند انتقاله من مكة إلى المدينة واستقر بالمدينة أمره الله ﷻ ببقية شرائع الإسلام

الزكاة فرضت في مكة ولكن أنصبتها ومقاديرها وما يتعلق بها في المدينة ، وكذا الصوم والحج والآذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من شرائع الإسلام " أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سنينَ " في مَكَّةَ ؛ أي يُقيم الأحكام ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤدي هذه الواجبات والأحكام في المدينة ؛ حينما استقر في المدينة وفي مكة كان يركز - عليه الصلاة والسلام - على

التوحيد ، وكما سبق - أن النبي ﷺ منذ أن بُعث إلى أن لقي ربه كان يقرر التوحيد ، ولما يُقال أنه في مكة ثلاثة عشر سنة يدعو إلى التوحيد ، وفي المدينة عشر سنين إلى الأحكام والشرائع ، فنقول إن في مكة كان هناك الكفار فكان يحاججهم بالتوحيد ، أما المدينة فهناك أهل الإسلام ولكن مع إسلامهم إلا أنه ﷺ كان يأمر بالتوحيد ويحذر من الشرك ، وحديث أبي واقد الليثي حينما ذكر أنهم كانوا حدثاء عهد بإسلام فطلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط فقال ﷺ (اللهُ أكبرُ لقد قلتم كما قالت بنو إسرائيلَ لموسَى : اجعلْ لنا إلهًا كما لهم آلهةٌ)(3) ، فعلمهم ﷺ التوحيد وعلمهم أن طلبهم ولو لم يكونوا ينوون الشرك إلا أن طلبهم هذا خطأ ، فأنكر عليهم ﷺ وهذا بالمدينة بعد هجرته من مكة .

وكذا أيضًا كما مر معنا مرارًا وتكرارًا قوله ﷺ : (لَعْنَةُ اللَّهِ علَى اليَهُودِ والنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)(4) وهذا قبل موته - عليه الصلاة والسلام - ، قال : " أخذَ على هذا عَشْرَ سنينَ وتُوُفِّيَ - صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ - ودينهُ باقٍ " توفي ﷺ بعد أن بلَّغ هذا الدين بلاغًا تامًّا كاملًا لا نقص فيه ، وكان ﷺ يقول في حجة الوداع (ألا هَلْ بَلَّغْتُ ، اللَّهمَّ فاشْهَدْ) ويكرر هذا - عليه الصلاة والسلام - ، فما مات - عليه الصلاة والسلام - إلا وقد بلغ جميع ما أمره الله ﷻ به ، والله ﷻ كما قال ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾(5) ودينه ﷺ دينٌ باقٍ .

لمـــــــاذا ؟

---

(3) اللهُ أكبرُ إنها السننُ قلتم والذي نفسِي بيدِه كما قالت بنو إسرائيلَ لموسَى : اجعلْ لنا إلهًا كما لهم آلهةٌ ؛ لتركَبُنَّ سنَنَ مَن كان قبلَكم .
مجموع فتاوى ابن باز(3/337) .
(4) صحيح البخاري (435) .
(5) سورة المائدة (3) .

لأنه آخر الأنبياء - عليه الصلاة والسلام - والرسل فلا نبي بعده ولا رسول والعلماء ورثة الأنبياء ، يسوسون الناس ويهدونهم إلى الحق .

ولكن العلماء كما مر معنا سابقًا هم علماء الحق هم العلماء الذين يعلمون ويعملون على تقوى ونورٍ من الله بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة .

فدينه ﷺ باقٍ (لا تزالُ طائفةٌ من أمتي على الحقِّ ظاهرينَ لا يضرُّهم من خالفَهم) (6) ولا من خذلهم وهذا بخلاف الأديان السابقة ، فهي ليست باقية لأنها منسوخة ، والأنبياء فيما سبق يرسلون إلى أقوامهم خاصة والنبي ﷺ أرسل إلى الناس كافة إلى الناس وإلى الجن أرسل إلى الثقلين ﷺ فدينه باقٍ إلى أن يشاء الله ﷻ رفعه من الأرض حتى لا يعرف الناس من دينهم إلا كلمة الله الله ثم تقوم الساعة على شرار الخلق .

يقول الشيخ - رحمه الله تعالى - : " وهذا دينُهُ ، لا خَيْرَ إلّا دَلَّ الأمَّةَ عَلَيْهِ ، ولا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا عَنْهُ ، فَأَكْمَلَ اللهُ لهُ الدِّينَ "
فالنبي ﷺ لم يقصر ؛ فالخير كل الخير فيما جاء به النبي ﷺ والشر كل الشر فيما خالف أمره صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : (لم يكنْ نبيٌّ قبلي ، إلَّا كان حقًّا عليْهِ أنْ يَدُلَّ أمتَهُ على ما يعلَمُهُ خيرًا لهم ، ويُنْذِرَهُمْ ما يعلَمُهُ شرًا لهم -يعني يخوفهم - شرّ ما يعلمهُ لَهُمْ)(7) ، وكان أبو الدرداء وغيره من

---

[6]) الألباني ، صحيح أبي داود (4252)
[7]) إنَّهُ لم يكنْ نبيٌّ قبلي ، إلَّا كان حقًّا عليْهِ أنْ يَدُلَّ أمتَهُ على ما يعلَمُهُ خيرًا لهم ، ويُنْذِرَهُمْ ما يعلَمُهُ شرًا لهم .
الألباني ، صحيح الجامع (2403).

الصحابة يقولون ما مات النبي ﷺ وما من طائرٍ يقلب جناحيه إلا وذكر لنا منه علما .

وأيضًا كان الصحابة يقولون إن النبي ﷺ دلنا على خير ما يعلمه وحذرنا من شر ما يعلمه في آثار عن الصحابة في ذلك .

قال الشيخ -رحمه الله تعالى- : " ولا خَيْرَ إلّا دَلَّ الأمَّةَ عَلَيْهِ ولا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا عَنْهُ ، فَأَكْمَلَ اللهُ لهُ الدِّينَ" ؛ هذا من الشيخ - رحمه الله تعالى - بيانٌ بديع وفيه فائدةٌ عظيمة وردٌ لشبهة وعمل باطل .

مـا هو ؟

هو ردٌ للبدع والضلالات والمحدثات فديننا كامل لسنا بحاجة إلى زيادة ، أنت يا من تأتي بتلك البدعة وتتقرب بها إلى الله .

ألا تكتفي بما جاء به النبي ﷺ ؟

هل طبقت ماجاء به النبي ﷺ ؟

وبقي عندك وقتٌ أو بقي عندك فراغٌ للعمل فتحدث وتبتدع بدعة جديدة ؛ إن هذه البدع والمحدثات هي من الشر وهي من الأمور التي حذرنا منها النبي ﷺ فقد كان النبي ﷺ يكثر من قول فإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى - الطريقة والدين - وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها -كل أمرٍ مخترعٍ جديد - محدثٍ جديد هو من شر الأمور .

قد يقول قائل هذا أمر جديد ولكن فيه خير للناس !

نقول : لا ؛ اسمع إلى ما قال النبي ﷺ (وشرُّ الأمورِ مُحدثاتُها ،وكلُّ محدثةٍ بِدعةٌ)(8) النبي ﷺ حكم على المحدثات على جميع المحدثات بأنها بدع قد يقول قائل هذه البدعة الناس يحتاجون إليها نقول له اسمع إلى ما قال النبي ﷺ قال : (وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ) ، ما في بدعة فيها خير أبدًا لا خير في البدع بل البدع انحراف وضلال عن الصراط المستقيم ، وأنا أقول لك قولًا يا عبد الله وأقول لك قولًا يا أمة الله :

اعلموا جميعًا - بارك الله فيكم - أننا إذا فعلنا وطبقنا ما جاء به النبي ﷺ من خير ؛ - يعني -كان له ﷺ من الأجر مثل أجورنا .

طيب وإذا فعلنا البدعة واشتغلنا بالبدع فإننا :

أولًا : لا نؤجر بل نأثم .

ثانياً : لا يصل للنبي ﷺ أي أجرٍ من هذه البدع .

و لذلك يقول ابن القيم الجوزية : (إنَّ أهلَ البدعِ قطّاعُ طريقٍ منْ وصولِ الأجرِ والثواب إلى النَّبِيِّ ﷺ) . فإذا كنا نحب النبي ﷺ **هل نفعل البدع ؟ هل نقع في البدع ؟**

لا ، إذا كنا نحب النبي ﷺ نتبع سنته ونتبع هديه ليصل للنبي ﷺ جميع أجورنا وجميع الثواب الذي نعمله حين نطبق سنته ﷺ .

لذلك الشيخ - رحمه الله تعالى - قال لنا : " لا خيرَ إلا دلَّ الأمة عليه " هناك من يقول هناك - يعني - أمور بدع أومحدثات فيها خير فيها نفع للأمة ، نقول : لا ، لا نفع في البدع والمحدثات .

---

[8]) الألباني ، صحيح الجامع (1353) .

" ولا شرَّ إلا حذَّرها منهُ " فإن المحدثات كلها من البدع والضلالات ، يقول ﷺ : (مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ)(9)

لماذا ، لماذا نقول برد البدع كلها ؟ كما سبق..

ثم قال الشيخ : " فَأَكْمَلَ اللهُ لهُ الدِّينَ " لأننا نقول بأن الدين كامل ، ولذلك الإمام مالك - رحمه الله تعالى - إمام دار الهجرة

ماذا يقول ؟

يقول (من ابتدع بدعةً فقد اتهم النبي ﷺ بالخيانة)

بخيانة مــاذا ؟

بأنه لم يبلغ كل الدين ، وحاشاه ﷺ من الخيانة ، فقد أكمل جميع الدين وأخبر به ﷺ ، وإنّما ذلك الشيطان وهوى النفس والانحراف عن الحق .

ولذلك عباد الله ويا أمَةَ الله احذروا ! احذروا ! احذروا من البدع ومحدثات الأمور ! والزموا سنة نبيكم ﷺ تفلحوا ، فإن البدع شر وتقود إلى الضلال والانحراف عن الحق .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " والخَيْرَ الذِّي دَلَّهَا عَليهِ التَّوْحيدُ ، وَجميعُ ما يحبُّهُ اللهُ ويَرْضاهُ ".

يعني هذه هي العبادة ، فإن العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ولكن هذه **العبادة لا تسمى عبادة إلا إذا توّفر فيها شرطان :**

الشرط الأول : الإخلاص لله ﷻ من عدم الشرك وعدم الرياء وعدم السمعة وعدم العمل لأجل الدنيا ، إنما العمل لله ﷻ ، تطلب من الله ﷻ الثواب .

---

9) صحيح مسلم (1718) .

والشرط الثاني : المتابعة لسنّة النبي ﷺ ، فمن عمل على خلاف سنّة النبي ﷺ لا يقبل منه .

ما الدليـــــــل ؟

قوله ﷺ : (مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ) ، و(من أحدَث في دينِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ) .

فريق صيانة السلفي معهد الميراث النبوي